٣ ـ خزانة الرءوس
في دار الخلافة العباسية ببغداد
للأستاذ ميخائيل عواد

(ز) رأس بدر مولى المعتضد :

كان سبب قتله على ما أجمعت عليه الروايات ، أن الوزير « القاسم بن عبيد الله كان همّ بتصيير الخلافة من بعد المعتضد في غير ولد المعتضد ، وأنه كان ناظر بدراً في ذلك ، فامتنع بدر عليه وقال : ما كنت لأصرفها عن ولد مولاى الذى ولى نعمتى . فلما رأى القاسم ذلك وعلم أنه لا سبيل إلى مخالفة بدر ؛ إذ كان بدر صاحب جيش المعتضد والمستولى على أمره والمطاع في خدمه وغلمانه ، اضطغنها على بدر . وحدث بالمعتضد حَدَثُ الموت وبدرٌ بفارس ، فعقد للمكتفي عقد الخلافة وبايع له وهو بالرقّة لما كان بين المكتفي وبين بدر من التباعد في حياة والده ... فقدم بغداد المكتفي وبدر بفارس ؛ فلما قدمها عمل القاسم في هلاك بدر ... »[1]

قال المسعودى : « ... فلما امتنع عليه أحضر أبا عمر محمد ابن يوسف القاضى فأرسل به إلى بدر في شذاء (قلنا : الشذاء والشذاة والشذاوة ؛ تجمع على الشذّاءات والشذوات : ضرب من السفن النهرية الصغيرة في العصر العباسى) فأعطاه الأمان والعهود والمواثيق عن المكتفي ، وضمن له أنه لا يسلّمه عن يده إلا عن رؤية أمير المؤمنين ؛ فخلّى عسكره وجلس معه في الشذاء مصعدين ، فلما انتهوا إلى ناحية الدائن والسيب تلقّاه جماعة من الخدم ، فأحاطوا بالشذاء ، وتنحى أبو عمر إلى طيّار فركب فيه ، وقرب بدر إلى الشط وسألهم أن يصلى ركعتين وذلك في يوم الجمعة لست خلون من (شهر) رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال من ذلك اليوم ؛ فأمهلوه للصلاة . فلما كان في الركعة الثانية قُطعت عنقه وأُخِذَ رأسه فحمل إلى المكتفي . فلما وضع الرأس بين يدى المكتفي سجد وقال : الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ... »[1]

وزاد الطبرى على ذلك قوله : « ... وورد الخبر على المكتفي بما كان من قتل بدر ... فرحل منصرفاً إلى مدينة السلام ، ورحل معه من كان معه من الجند ، وجيء برأس بدر إليه ؛ فوصل إليه قبل ارتحاله من موضع معسكره ، فأمر به فنُظّف ورفع في الخزانة »[2]

(ح) رأس الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان ابن وهب . بن أبي علي بن مقلة

قصة هذين الوزيرين إحدى عبر الدهر . قال ابن الطقطقى في الحسين بن القاسم أنه « لم يكن بارعاً في صناعته ، ولا شكرت سيرته في وزارته ، ولم تطل له المدة حتى عجز واختلت الأحوال عليه ... ، ولما ظهر للمقتدر نقصه وعجزه ؛ قبض عليه وصادره ، ثم بقى إلى أيام الراضى وأبعد عن العراق . فلما تولى ابن مُقلة الوزارة ؛ تقدم بقتله ، وأرسل إليه من قطع رأسه ، وحمل رأسه إلى دار الخلافة في سفط[3] ، فجعل السفط في الخزانة ، وكانت

(١) تاريخ الطبرى (٣ : ٢٢٠٩ — ٢٢١٠) ، وانظر (٣ : ٢٢١٠ — ٢٢١٣)

(١) مروج الذهب (٨ : ٢١٧ — ٢١٨) ؛ وراجع المنتظم (٦ : ٣٥ — ٣٦)

(٢) تاريخ الطبرى (٣ : ٢٢١٤)

(٣) السفط : محركة ؛ جمعه أسفاط . قال صاحب التاج (٥ : ١٥٣ ؛ س ف ط) : « الذى يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، وفي المحكم كالجوالق وفي غيره ، أو كالقفة . وهو عربي معروف قال ابن دريد : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى أحسبه عن يونس ، وأخبرنا يزيد ابن عمرو الفتوى عن رجاله ، قال : مر أعرابي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يدفن فقال :

هلا جعلتم رسول الله في سفط ... من الألوة أسدا ملبنا ذهبا

وفي حديث عمر (رضى الله عنه) : فأصابوا سفطين مملوءين جوهراً ، وعن معقل بن يسار المزنى (رضى الله عنه) أنه قال لما قتل النعمان بن عمرو ابن مقرن (رضى الله عنه) ، أرسلوا إلى أم ولده : هل عهد إليك النعمان ؟ قالت : سفط فيه كتاب ، فجاءت به فنحوه ؛ فاذا فيه : قتل النعمان فلان . قلت : وأنشد بعض الشيوخ لأبي حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسي الغرناطى :

تكتب العلم وتلقى في سفط ... ثم لا تحفظ لا تفلح قط
إنما يفلح من يحفظه ... بعد فهم وتوق من غلط

والفارسية « سبد » ، ومنه « سبد » بالتركية والكردية ؛ (أنظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨٤)

وفي السفط وضع النبي موسى (عليه السلام) يوم كان طفلا . جاء في سفر الخروج (٢ : ٣) : « ولما لم تستطع أن تخفيه بعد ؛ أخذت له تابوت

لهم عادة بمثل ذلك . فحدّث أنه لما وقعت الفتنة ببغداد فى أيام المتقى ؛ أخرج من الخزانة سفطٌ فيه يد مقطوعة ورأس مقطوع ؛ وعلى اليد رقعة ملصقة عليها مكتوب : هذه اليدُ يدُ أبى علىّ بن مقلة ، وهذا الرأس رأس الحسين بن القاسم ، وهذه اليد هى التى وقّعت بقطع هذا الرأس . فعجب الناس من ذلك »[1]

٢ — حمل الرءوس إلى بغداد

كان حمل رءوس العصاة ، والخارجين على الدولة ، والفارين من وجه العدالة ، ومن جرى مجراهم ؛ إلى دار الخلافة العباسية ببغداد ، أصدق شاهد على الفوز والانتصار ، وكان هذا الأمر من الرسوم الجارية فى تلك الأيام ، فكانت بغداد تستقبل هذه الرؤوس بين حين وآخر ، فتدخلها مشهرة ، ثم يؤتى بها فتوضع بين يدى الخليفة ليشاهدها هو ورجال دولته ، وفى ذلك أمرٌ يعنيه الخليفة . ثم إنها تنصب على المواطن البارزة من البلد كالجسور ، وأبواب دار الخلافة ؛ ليشاهدها كافة الناس فيعتبرون بها ومن ثمة تستقر فى خزانة الرءوس .

(أ) رأس خارجىّ ظهر بعود الحبشة

كان رأس هذا الخارجىّ من أوائل الرءوس التى حملت إلى بغداد ، فقد ذكر المقريزى أن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبى صفرة حج « فى سنة سبع وأربعين [ومائة] ، واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته ، وبعث جيشاً لغزو الحبشة من أجل خارجىّ ظهر هناك ؛ فظفر به الجيش وقدم رأسه فى علبة رءوس فحملت إلى بغداد ... »[2] .

(ب) رأس أبى الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبى دلف

انفرد أبو الليث بذبح نفسه بيده ، دون قصد أو تعمد . فقد جاء فى جملة حوادث سنة ٢٨٤ هـ أن فيها « ورد الخبر بقتل أبى الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبى دلف بسيفه لنفسه فى الحرب ، وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهراً فكبا به فرسه فذبحه سيفه ، فأخذ عيسى النوشرى رأسه وأنفذه إلى بغداد »[1]

(يتبع)

ميخائيل عواد

---

(١) مروج الذهب (٨ : ١٨٣) ؛ وقد ذكر الطبري مصرعه بشكل يختلف قليلا عن رواية المسعودى . قال : (٣ : ٢١٨٢) : « ... وليلة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة [٢٨٤هـ] كانت فيها ذكر وقعة بين عيسى النوشرى وبين أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبى دلف ، وذلك يوم الخميس دون أصفهان بفرسخين ، فأصاب أبا ليلى سهم فى حلقه فيها ذكر ؛ فتحره فسقط عن دابته وانهزم أصحابه ، وأخذ رأسه فحمل إلى أصبهان » .

ثم أضاف إلى ذلك قوله (٣ : ٢١٨٣) : « ولخمس خلون من صفر منها [سنة ٢٨٥هـ] ورد مدينة السلام وصيف كامه مع جماعة من القواد من قبل بدر مولى المعتضد وعبيد الله بن سليمان من الجبل معهم رأس الحارث بن عبد العزيز بن أبى دلف المعروف بأبى ليلى ، فنصبوا به إلى دار المعتضد بالثريا ، فاستوهبه أخوه ، فوهبه له واستأذنه فى دفنه فأذن له ... »

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية (ص ٢٢٣ : طبعة أمطرارة)

(٢) خطط المقريزى (٢ : ٩٣)

تمثيليات

كليلة ودمنة

للأستاذ إبراهيم عز الدين اسماعيل

استمعتم إليها من محطة الإذاعة فأعجبتم بها
واليوم تقرأونها فتزدادون بها إعجاباً

الثمن ١٠ قروش صاغ و ٢ قرشان للبريد

الناشر دار الكتب الأهلية
ميدان الأوبرا تليفون ٤٩٥٦١
المراسلات باسم مديرها رشدى خليل